

رئيس مجلس الإدارة رئيس التحرير

مخبر

ملحق ثقافي اسبوعي يصدر عن جريدة المدى

منارات
manarat

العدد (4842) السنة الثامنة عشرة - الاربعاء (30) كانون الاول 2020

www.almadasupplements.com



« 2 |

سلافوي جيچيك : لا اصدق
الناس الذين يقولون إن العزلة
الاجتماعية مرّوعة للغاية

« 4 |

سلافوي جيچيك: الفلسفة
حين تكون تنبؤية

« 5 |

سلافوي جيچيك.. ماركس
وكورونا وما بينهما

« 6 |

سلافوي جيچك... النقد
الثقافي وأسئلة الفلسفة

سلافوي جيچك



سلافوي جيچيك : لا اصدق الناس الذين يقولون إن العزلة الاجتماعية مروعة للغاية

ترجمة/ احمد الزبيدي

سيد جيچيك أين تعيش حالياً ؟

في شقوتي في ليوبليانا (عاصمة سلوفينيا - م). لدينا حالياً ما يصل إلى 50 حالة وفاة يومياً في سلوفينيا بسبب فيروس كورونا. إذا ربطت ذلك بحجم السكان ، فلدينا واحد من أسوأ معدلات الوفيات في العالم.

وكيف هي حالتك شخصياً؟

أنا في حالة اكتئاب. ستستمر هذه العزلة حتى الربيع. بالإضافة إلى ذلك ، فإن المقاومة غير العقلانية للاغلاق عند العديد من الناس تتركني عاجزاً عن الكلام. ألم تكن هناك احتجاجات في ألمانيا أيضاً؟ قال نصف سكان كرواتيا إنهم لا يريدون التطعيم باللقاح. كيف الحال في ألمانيا (الصحفي الذي أجرى المقابلة من ألمانيا)؟

الغالبية تريد التطعيم. أعتقد أن حوالي 40 في المائة متشككون بالأمر. حسناً ، الملقح سيتم حمايته من غير الملقحين.

هل ستقوم بأخذ اللقاح إذا ما توفر؟

على الفور ، نعم. لم لا؟ سأحصل على التطعيم بسرعة. فأنا أبلغ من العمر 71 عاماً ، وأعاني من مرض السكري وارتفاع ضغط الدم. لدي جميع الأسباب التي تجعلني عرضة للخطر.

كيف كانت الأشهر الستة الماضية بالنسبة لك؟ هل تقضي كل وقتك في ليوبليانا وفي سلوفينيا؟

نعم. البلد في حالة إغلاق. في أب الماضي ، كان الجو أكثر استرخاءً عندما ذهبت إلى الساحل السلوفيني لبضعة أيام. لكنني لم أكن قريباً من البحر. مكثت في الشقة. اعتقدت أن الأمر سيزداد سوءاً أثناء العزلة ، لكنه في الواقع كان لا بأس به.

لماذا؟

كان من السهل على العمل. أستطيع أن أفعل كل شيء على الكمبيوتر المحمول. لا أصدق هؤلاء الناس الذين يقولون الآن إن العزلة الاجتماعية مروعة للغاية. كتب أحد أصدقائي الأميركيين: "هناك عزلة جسدية فقط في الوقت الحالي. والثمن هو أننا مرهقون اجتماعياً تماماً." صحيح! نحن أكثر ارتباطاً اجتماعياً مما كنا عليه منذ فترة طويلة. نحن تحت سيطرة الدولة. فالسلطات تتحقق إلى أين نحن ذاهبون وماذا نفعل. الدولة تسأل كيف نحن ، هل لدينا نزلة برد. ولا تنس كل التغييرات التي جلبتها التكنولوجيا الرقمية! لم أستخدم الهاتف أو الكمبيوتر أبداً كما أفعل اليوم. وأنا أواظب على فحص بريدي الإلكتروني. لكنني أكره ذلك. أنا في الواقع أحب أن أكون وحدي. لكن التواصل أسهل بكثير من خلال العمل في المنزل ، حتى في المحادثات الخاصة. لم أشعر بهذا الارتباط من قبل. ما أفنقده حقاً هو العزلة الحقيقية ، الوحدة الحقيقية.

هل تعتقد أن هناك اختلافات ثقافية في كيفية انتشار الفيروس؟ يقال إن الفرنسيين يحيون بعضهم البعض

بالبصلات وبالتالي ينتقلون الفيروس بشكل أسرع. كيف هو الحال في البلدان السلافية؟ تعد بولندا وجمهورية التشيك وسلوفينيا حالياً الأسوأ في العالم. الأمر كله متناقض. في البداية ، كان التشيك والبولنديون هم أبطال العالم في مكافحة الفيروس. لا أعرف ماذا حدث في الصيف حتى تغير كل ذلك. في البداية كانت فرنسا أيضاً فعالة للغاية. ثم تصاعدت الأرقام. والآن فإن ألمانيا لديها مشاكل. أنا حريص جداً على ذكر الخصائص الثقافية كأسباب لنمو العدوى. في البداية ، أخبرني أصدقائي البساريون أن دولا ما بعد الاشتراكية كانت تصارب الفيروس بشكل أفضل وكانت تظهر تضامناً مع بعضها البعض أكثر من الدول الغربية الكلاسيكية النيوليبرالية. ومع ذلك ، لم يعد هذا هو الحال اليوم. بكل صدق: لا يمكنني حقاً شرح عملية العدوى.

في الوقت الحالي ، يمكنك القول إن الصين تقوم بعمل جيد حقاً. لا تكاد توجد أي إصابات. وهي بعد كل شيء ، دولة اشتراكية ذات آليات تحكم قوية.

نعم ، الصينيون جيّدون حقاً. لكن هذا لا يجب أن يعني أي شيء أيضاً! هناك أيضاً دولة ذات توجه غربي تؤدي دور الصين تقريباً. أنا أتحدث عن تاوان. كما أن أداء أستراليا ونيوزيلندا جيد للغاية. ما أريد قوله: الكليشيهات الثقافية لا تساعد في التحليل. يزداد الوضع سوءاً في ألمانيا يوماً بعد يوم. هناك الكثير من الوفيات ، على الرغم من أن ألمانيا مجتمع منضبط. وماذا يفعل القادة؟ بدلاً من الاعتراف بتعقيد الوضع ، يتم باستمرار توجيه الاتهامات إلى الأطراف المذنبة. أولاً ، كانت الاتهامات توجه إلى الشباب.

القرون الوسطى إذا اتبعنا ما يقوله أغامبين وتجاهلنا الفايروس هل تعرف من يجادل مثل أغامبين؟

كلا.. من هو؟

انه جاريد كوشنر ، صهر ترامب. هل تعرف ما قاله؟ كانت عبارة جميلة ذات معنى ساخر. لقد قال: إن ترامب أصيب بـ كورونا بعدوى من الأطباء.

وكذلك فإن أغامبين ينتقد ارتداء الكمامات. حيث يقول: "إن الطاغية عديم الوجه".

اعتقد إنه يشير إلى الفيلسوف إيمانويل ليفيناس ، صاحب مقولة التعرف على الإنسان من خلال الوجه الذي يمثل مرآة عاكسة لحقيقة الأنا وكيونتها. وإذا تم حجب الوجه ، سيكون التعرف عليه مستحيلًا. لأن المرء لا يرى نقيض الهاوية المطلقة. أعتقد أن هذا غير صحيح. أتحدث الآن من وجهة نظر فرويد. في التحليل النفسي ، الوجه غير ذي صلة على الإطلاق بهذا الأمر. دائمًا ما تكون المحادثة وجهًا لوجه هي المرحلة الأولية فقط في التحليل. في التحليل النفسي ، يجب ألا يكون هناك اتصال بالعين. أوضح فرويد أن هذه هي الطريقة الوحيدة لإلقاء الضوء على الهاوية الحقيقية لـ "أنا". أود أن أقول: حسنًا ، هناك أفتعة. لكن القناع النهائي هو الوجه نفسه. وجهنا يكذب. قد تقول العيون الحقيقة. لكن ليس الوجه. لا يزال بإمكانك رؤية العيون ، على الرغم من القناع.

ألا تخاف على الإطلاق من سيطرة الدولة على الأفراد؟

تسيطر الدولة على الأفراد بطريقة أو بأخرى. الصين تسيطر علينا. الولايات المتحدة تسيطر بنفس الطريقة ، ولكن بشكل مختلف فقط. يعيش الأميركيون فقط في وهم كونهم أحرارًا. وماذا يحدث الآن؟ الناس خائفون جدا من التطبيق الخاص بكورونا على الهواتف المحمولة. يقول لي البعض: "الدولة تسيطر علينا". وأنا دائما أجيبهم: هل تمزحون معي؟ كل الدول الكبرى تفعل ذلك منذ 10 أو 20 سنة. الصين تفعل ذلك ، وإسرائيل أيضا بالطبع. أخبرني أحد عملاء المخابرات الإسرائيلية أن جميع المحادثات الهاتفية في إسرائيل مسجلة ويتم تقييمها. وقد أكد جوليان أسانج أمرا مهما: أن فيس بوك و غوغل ، وجميع الشركات الأخرى تعاونت مع أجهزة الأمن الأميركية. في ضوء جهاز المراقبة هذا ، من السخف أن يحتج الناس الآن على تطبيق كورونا مع أنه غير ضار نسبيا.

لا يمكنك فهم معارضي الإجراءات على الإطلاق؟

هناك شيء واحد جيد: الحياة اليومية تجعلنا حاليا فلاسفة ، وإن كنا فلاسفة أغبياء. أعتقد أنه من الرائع أن يكون هناك أشخاص ، أناس عاديون تماما ، يحتجون الآن على ارتداء الأقنعة ويقارنون الأقنعة بالكمامات وأنفسهم بالكلاب. بعد كل شيء ، إنهم يفكرون - ربما لأول مرة في حياتهم - في الكرامة والإنسانية. يمكن للمرء أن يعتقد فقط أن هذا عظيم. لقد أخرج الوباء الأفضل والأسوأ فينا. يخاطر العديد من الأطباء والمرضى بحياتهم لإنقاذ حياة الآخرين. أعتقد أن هذه أمثلة على الجمال النقي. يخاطر الأطباء بحياتهم دون طلب التصفيق. على حد تعبير كانط ، "يمكنك ، لأنك يجب". هم فقط يفعلون ذلك. لهذا أقول إن كرامتنا لا تهددها تدابير الحماية والأقنعة. على العكس من ذلك: هذه الإجراءات هي دليل على إنسانيتنا.

هل انت متفائل بشأن المستقبل؟

نعم ، فأنت تأمل في كتابك في حدوث "كارثة شيوعية" تكون الترياق لكارثة الرأسمالية. و تكتب قائلا: يجب أن تقوم الدولة بدور أكثر نشاطا وتقوم بتنظيم إنتاج المواد الأساسية مثل الكمامات ، ولوازم فحص كورونا وأجهزة التنفس ، ومصادرة الفنادق والمنتجعات الأخرى لايواء مرضى كورونا فيها، وضمان الظروف المعيشية لأولئك الذين أصبحوا عاطلين عن العمل مؤخرا ، وهكذا دواليك. يجب أن تفعل كل هذا بالتخلي عن آليات السوق. يمكن القول إن الأمور إما ستزداد سوءاً أو تتحسن كثيراً. هذا كله متروك لنا. لن يختفي فيروس كورونا نهائيا. سيتعين علينا التصرف بطريقة جديدة ، على الرغم من التوقعات. لكن قلقي الأكبر هو شيء آخر إنه حالة المناخ . هل لاحظت درجة الحرارة في سيبيريا؟ في تموز الماضي ، تم تسجيل درجات حرارة فاقت 35 درجة هناك. يجب أن نخاف من ذلك حقاً.

عن برلينر زايتونج.

ممتعاً. لهذا السبب أقول إن هناك شرخاً حدث في وعينا. أغامبين يريدنا أن نتجاهل هذا الشرخ ونعيش كما كنا نعيش من قبل. وهذا يعني أن الوباء سينتشر ويصيب المزيد من الناس بالمرض. لا أعتقد أن الأمر سيكون كما يقول أغامبين - أن الناس سيموتون ، لكن المجتمع ككل سيحافظ على كرامته الاجتماعية. بدلاً من أن يقع المجتمع في همجية حقيرة ، ما عليك سوى إلقاء نظرة على الولايات المتحدة الأميركية: كم عدد الأشخاص الذين يشترتون حالياً الأسلحة النارية؟ 20 مليون أو نحو ذلك. سيكون هناك المزيد من الوحشية والاضطراب. سنقع في نوع من بربرية

الظهور والتظاهر بأن كل شيء على ما يرام. حتى عندما نعلم أن الأمر قد انتهى. يقول أغامبين: "هذه هي الطريقة الوحيدة الكريمة للموت".

وأنت ما رأيك؟

لا أعتقد ذلك. إذا كنت تفكر على هذا النحو ، بصفتك يسارياً ، فإنك تقترب بسرعة من ترامب. يخرج اليمينيون إلى الشارع ويقولون إن لبس الكمامة يجعلنا ننشبه الكلاب التي توضع عليها كمامات الفم لمنعها من العض أو إصدار الأصوات المزعجة أو فتح فمها وما شابه ذلك. أجد ذلك



بعدها جاء دور أصحاب المطاعم. والآن يتم توجيه الاتهام الى المكاتب وأماكن العمل. الأمر المحبط هو ضالة ما نعرفه عن الفايروس.

ما رأيك: كيف ستسير الأمور في الأشهر القليلة المقبلة؟ في كتابك (الوباء)؛ أنت ترسم صورة قاتمة.

تحدثت إلى أصدقائي من أمريكا اللاتينية الذين كانوا يحاولون القيام بدراسات نفسية للوباء. لقد أشرت بحق إلى أن الإغلاق الأول كان لا يزال لطيفاً. اعتبره الكثيرون نوعاً من الإجازة. لقد أرادوا قضاء بعض الوقت مع الأطفال ، والاسترخاء قليلاً ، وإغلاق عقولهم. حتى الخبير الأميركي الدكتور فاوتشي افترض أن الفايروس قد يُهزم في الصيف. كان الإغلاق الأول صدمة سارة.

و الآن؟

يخبرني معظم الاقتصاديين الذين أثق بهم أن الظروف الاقتصادية ستكون رهيبية في ربيع عام 2021. يعتقد الناس ذلك. يدافع الكثير عن الإغلاق المخفف. لكن ألم يبرهن صيف عام 2020 أنه لم ينجح؛ الإغلاق المخفف هو وهم؛ يجب أن نتخلص من فكرة أن الحل الوسط يمكن أن تنجح. الشيء الوحيد الذي ينجح هو الإغلاق الصارم - فقط إذا كان عدد المصابين لا يزال قابلاً للإحتواء. تظهر أستراليا كيف يتم ذلك. أنا معجب بهذا البلد. كانت هناك حالات تفشي صغيرة جداً في مليون. تم بعد ذلك وضع المدينة في حالة إغلاق مشددة لمدة شهر. يعمل الاقتصاد الآن كما كان من قبل. فيتنام تفعل ذلك بشكل صحيح أيضاً. وهذه قصة نجاح أخرى. لا ينجح الإغلاق الصعب المبكر فحسب ، بل إنه أيضاً أفضل حل اقتصادي.

كان صيف 2020 صيف الاحتجاجات أيضاً. ما هو رأيك بها؟

وقعت احتجاجات ما عرف بحركة "حياة السود مهمة" بشكل رئيسي في الولايات المتحدة. كنت أخشى أن المتظاهرين يريدون التخلص من كانط وهيجل. فقد أنلى كانط ببعض التصريحات التي يمكن للمرء أن يصفها بالعنصرية اليوم. أخبرني صديق أميركي شارك في المظاهرات أن اليسار سعيد لأنه تمكن أخيراً من المشاركة في صراعات من الطراز القديم مرة أخرى ، حيث إن العدو فيها واضح - الشرطية والعنصرية وما إلى ذلك. للحظة يمكنك نسبياً وباء كورونا والتظاهر بأن الحياة تسير بشكل طبيعي مرة أخرى.

هل تساءلت لماذا لم يأخذ المتظاهرون اليساريون الفايروس على محمل الجد؟

وما زالوا حتى اليوم! من الغريب أن تكون الأرقام أسوأ بكثير مما كانت عليه في الربيع وأن الناس ما زالوا لا يأخذون الموقف على محمل الجد. يذهبون للتسوق. الشوارع ممتلئة. إنها نوع من ستراتيجية الإنكار. إنني افتقد الذعر الصحي الذي عاشه الناس في البداية. أعتقد أن الناس يائسون. هم يعتقدون أن حقبة كورونا على وشك الانتهاء. اعتقد أن الموجة الثالثة ستكون موجة أمراض عقلية. وسوف تزيد بشكل كبير. يمكن ملاحظة ذلك بالفعل في الحالة النفسية للأطفال والمراهقين. إنهم معزولون اجتماعياً ومكتئبون. لا أحد يعطيهم نظرة واضحة. بالتأكيد ، اللقاح قادم. لكن كما قال عالم الاجتماع برونو لاتور: هذا الوباء ليس سوى عينة صغيرة من الأزمة الحقيقية التي ستأتي لاحقاً: فيروسات أخرى ، وكوارث عالمية ، و من ذلك موضوع الاحتباس الحراري.

هل يمكن للمرء أن يأمل بالأحسن؟

يمكن للمرء أن يأمل ، ولكن بطريقة متناقضة! أنا أدافع عن شجاعة اليأس. إذا أردنا أن نأمل ، فعلياً أن نقبل أن حياتنا القديمة قد ولت. يجب أن نخترع وضعاً طبيعياً جديداً. لقد تغيرت علاقتنا الأساسية مع الواقع - كيف نرى العالم ، وكيف نتفاعل معه. علاقتنا بالواقع انهارت بشكل جذري. كلما أسرعنا في الاعتراف بذلك ، كلما كان ذلك أفضل.

ما رأيك بما يقوله الفيلسوف الإيطالي جورجيو أغامبين؟ لقد كتبت عنه في كتابك. يعتقد أغامبين أنه لا ينبغي أن يخيفنا الفايروس. إنه ضد الضمانات. كتب أغامبين مؤخراً نصاً بعنوان "عندما يحترق المنزل". وهو يعترف بأن المنزل مشتعل بالنار ، لكنه في الوقت نفسه يقول: "يمكننا فقط مراقبة الكارثة. إذا حاولنا تغييرها ، فسوف نجعلها أسوأ". يقول إننا يجب أن نعيش مثل الناس في العصور الوسطى - نواصل العيش كما لو أنه لا يوجد خطر. هذا يعني مقابلة الأصدقاء وتناول القهوة في فترة ما بعد

سلافوي جيجيك: الفلسفة حين تكون تنبؤية

والموت وإنما نحن وما ستكون عليه حياتنا المعاصرة، مفترضاً أننا بدلاً من أن نسال هل ما تزال الشيوعية موضوعية علينا أن نسال: كيف تبدو أزماننا من وجهة نظر الشيوعية في مجتمع ما بعد حدائي يصفه بـ(مجتمع الحظر)؟

وما يرجوه جيجيك هو أن يتعلم اليسار الجديد من فشل السياسات اليسارية في القرن العشرين، ناقلاً عن لاكان مقولته (مسموح أن يعلم) أي نعلم عن الشيوعية لنتحرك بإخلاص باتجاه لا شيوعي بينما ليس مسموحاً أن نرى كما في الليبرالية الإباحية.

ويمقت جيجيك الأيديولوجيا لأنها أو لا "تجعلنا مجبرين على خيارتنا من دون أن نملك حق التصرف" ص 19، وثانياً أنها تصيرنا على طريقة المثل (لا نتكلم.. افعل) حتى صارت مشكلتنا أننا فعلنا كثيراً، فتدخلنا في الطبيعة ودمرنا البيئة وربما حان الوقت للترجع ونقول الشيء المناسب، ص 20.

ولأن جيجيك خارج دائرة الأدلجة والتحزب، يرى الاشتراكية نافعة كما يرى الرأسمالية فاعلية، وذلك من باب "أن جعل نظام البنوك اشتراكياً أمر مقبول يخدم إنقاذ الرأسمالية فالاشتراكية لا تعد سيئة عندما تخدم استقرار الرأسمالية. لاحظ التنافر مع الصين اليوم بالطريقة نفسها يستخدم الشيوعيون الصينيون الرأسمالية لفرض نظامهم الاشتراكي"، ص 24.

وكيف يكون جيجيك فيتشيا ومتعالياً وهو يمتلك رؤى تنبؤية هي نتاج قراءته الدقيقة للواقع الحاضر مؤكداً "أننا أكثر من أي وقت مضى مطوقون بالأيديولوجيا في شكل تبريرات بيروقراطية" وأن استراتيجية استغلال طبقة النخبة العليا للطبقة الكادحة هي سبب الانهيار المالي عام 2008. والحل عنده هو الحياض الأيديولوجي الذي فيه تكون النجاة في عدم تدخل الدولة عبر ما سماه (مبدأ الصدمة) الذي قد يحل الإشكال المالي أو الأزمة المالية الكبرى بوصفه علاجاً غير نمطي به تتدارك مشاكلنا كالحرب على الإرهاب والبحث عن بدائل صديقة للبيئة ونزع السلاح النووي والاحتباس الحراري وغيرها.

هذه الإشكاليات هي بمثابة موضوعات سامة أو سمية. بحسب جيجيك، وأن الحجر عليها أو تطبيعها هو الذي ينبغي أن يكون الهدف النهائي لكل القواعد التي تحكم علاقاتنا الشخصية، مما يسميه (الرأسمالية الثقافية)، فـ "الخوف من الآخر السام هو الوجه الآخر لتعاطفنا مع الآخر المحول إلى زميل"، ص 82.

ولافتتاح جيجيك أن رأس المال هو حقيقة حياتنا، تنبأ بأن الكارثة ستكون بيئية وفيها سيمدمر البشرية نفسها ذاتياً مما كانت قد توقعته بعض الأديان ومنها المسيحية وأكثرت ثورات نادت بالعدالة والمساواة والقرامطة والزنج وما أثاره أيضاً الرومانسيون في العصر الجديد. ومن سيناريوهات الانهيار البيئي ما ذكره جيجيك عن قيام مجموعة بحثية من كامبردج عام 2008 بدراسة وباء السل في أوروبا الشرقية خلال العقود القليلة الأخيرة، وبعد تحليل البيانات وجد الباحثون ارتباطاً بين قروض أعطيت لهذه الحالات من قبل صندوق النقد الدولي وبين الارتفاع في حالات الإصابة بالسل، فعندما توقفت هذه القروض تراجع الوباء.

وتفسير هذا الارتباط الغريب ظاهرياً بسيط. كما يرى جيجيك "فقد كان الشرط لمخ القروض هو تقديم التزام مالي" هكذا كانت الضحية الأولى للجراءات المالية هي الصحة نفسها (ص 126) ويستدرك جيجيك ساخراً "هذه هي العقلانية الرأسمالية!!".

ومن سيناريوهات الكارثة البيئية الانهيار الاقتصادي الذي لن ينفع معه مبدأ الصدمة كما لن تفيد الرأسمالية التقنية لأنها نظام بلا ذرائع فلسفية، لذا ستعدي البيئة خلق شيوعية من النمط المالي المعادي للرأسمالية التي نصفها الآخر مركب من يوتوبيا الوثنية وعبادة الطبيعة. وإذا كان الانهيار المالي كما يراه جيجيك صدمة (البقطة من اللحم)، فهل تكون الجائحة (كورونا) هي حلم البقطة؟ هذا الحلم الذي بسببه جعل النظام المعول أماناً منومة تنوياً مغناطيسياً وعقلناً خاملاً بلا أيديولوجيا، نعيش واقعنا افتراضياً بالعنف الرمزي. ذلك بالضبط ما سيتناوله سلافوي جيجيك فلسفياً في كتابه الجديد "الجائحة: كوفيد-19 - تهز العالم".



مجالاً من التحليل وأكثر جرأة وأثراً من النقد وأشمل مدى وأعقد أفاقاً من مجرد الفحص والمراجعة. وهو القائل تأثراً بفيلسوف التكرار (كيركيجارد) "إننا نحن البشر ليس بإمكاننا أن نكون واثقين من أننا نؤمن بشكل جوهري" (الكتاب، ص 7).

ولا خلاف في أننا نتجنى على جيجيك حين نراه شيوعياً ولو كان كذلك لما افتتح كتابه أعلاه بالمقولة المعادية للشيوعية "اليوم بعد مأساة شمولية القرن العشرين لا يمكن لأي كلام عن العودة إلى الشيوعية إلا أن يكون هزلياً" ص 5 فالشيوعية بحسب جيجيك نظام قديم، وسبب سقوطها المأساوي خطأ تاريخي عالمي، ص 6. ولعل أهم صورة تتجلى لجيجيك كفيلسوف أنه غير متطامن مع الشيوعية ولا قابل بالاحتواء الرأسمالي بل هو ضد الشمولية الشيوعية والإمبريالية الأمريكية. وهو القائل تحت عنوان استقرازي (الشيوعية مجدداً): "إن عصر الطوباويات الأيديولوجية قد تخطيناه" ص 120.

ولا يعني أكثره بمقوله ماركس وإشارته إلى فوكاياما أنه متحزب ومنتم؛ وإنما هي العلانية الفكرية التي تجعله مثلاً وهو بصدد الفكرة الهيجلية التي تقول إن التاريخ يعيد نفسه فصحتها ماركس مضيغاً لها لكن بطريقتين مختلفتين: الأولى كمأساة والثانية كمهزلة، وجيجيك يرى في مفارقات التاريخ ما يخرق البديهيات المقبولة ليغدو التاريخ كوميدياً.

وما يراه جيجيك هو أن نؤ من أننا نتخيل وليس أن نتخيل أننا نؤمن، مما وقع فيه فوكاياما الذي تخيل مؤمناً أن انهيار جدار برلين سيعلن يوتوبيا التسعينيات التي فيها تكون نهاية التاريخ، لتفوز الليبرالية الديمقراطية التي يقدحها جيجيك كونها صنعت مواطنين عالميين يعيشون في الخفاء بمعزل عن الناس فائقي الثراء لا في الولايات المتحدة وحدها بل في الصين أيضاً. ففي شغها مثلها مدينة هي نسخة من بلدة انكليزية تعيش كمنطقة معزولة لأهلها أيديولوجيتهم المنخبة كطبقات عليا منفصلة عن طبقات المجتمع الأخرى.

وتقيد جيجيك ليوتوبيا فوكاياما والليبرالية الديمقراطية يتضح في رؤيته لهما كنهايات هوليدوية، اتضحت مع عامي 2001 و 2008 لتكون في الأول بداية الأزمة وفي الآخر بداية المأساة. والسؤال الإشكالي عند جيجيك ليس سؤال الحياة

د. نادية هناوي

وعلى الرغم من شهرة هذا الفيلسوف التي كونتها طروحاته الجريئة ومنظوراته غير التقليدية وأفكاره الساخرة الاستغرافية؛ فإنه ما زال في نظر بعض الكتاب والدارسين مجرد ناقد ثقافي أو أيديولوجي متقاعد خرج عن الخدمة أو مثقف متعال ليس له سوى طرح الأسئلة، راسمين له صورة ضبابية غير دقيقة وهم يقدمون تصورات ناقصة غير مكتملة، واصفين إياه بخصال تشوه صورته، مسقطين عليه رؤى جاهزة تصلح لكل مقام ومقال. وهذا هو شأن الكتابات الإنشائية التي يشوبها كثير من القصور، ومن ثم يتم التجني على جيجيك وفكره من حيث يدري هؤلاء الكتاب أو لا يدرون. وقد نعتذر لهؤلاء أن كثيراً من كتب هذا الفيلسوف لم تترجم إلى اللغة العربية بعد، هذا فضلاً عن شائكيته الفلسفية التي تتأتى من كونها أبعد ما تكون عن الحداثة الهابرماسية وأنبذ ما تكون للبرغماتية والترانسدنتالية. وبسبب ذلك كله استطاع جيجيك أن يحفر اسمه بقوة في عالم الفلسفة ما بعد الحداثية.

ولو كان سلافوي جيجيك متوقفاً في منصة النقد كما يرى بعضهم، ممارساً (النقد الثقافي) بفاعلية كشف وتعريية الأنساق المضمرة، وكان الفكر الجدلي عنده مجرد علاقة ومجال ووظيفته لا تتعدى التحليل النقدي، لما اختلف عن أي ناقد ينقد التاريخ والنظام والهيمنة.

ولا مناص من القول إن الاتساعية الفكرية والعمق المعرفي يجعلان الفيلسوف أي فيلسوف أشكس من أن يتطامن مع أيديولوجيا بعينها وأصعب من أن يسلم قياده لنموذج فلسفي وحيد سبقه أو يرهن عقله بتجربة منظر مجايل له لم ينغمس في عالم الفلسفة كانغماسه هو فيها.

ولكي لا يكون كلامنا عن سلافوي جيجيك عائماً بلا استنادات قرائية أو فوضوياً بلا محطات تؤشر على حقيقة ما طرحه من آراء؛ فإننا سنركز القول على كتابه "بداية كمأساة وأخرى كمهزلة" بترجمة أماني لأزار والصادر عن دار طوى للثقافة والنشر بلندن عام 2015 وفيه تتجلى شخصية جيجيك المعرفية وتتضح هويته الفلسفية وهو يمارس التفكير كعملية ذهنية هي أوسع



سلافوي جيجيك فيلسوف سلوفيني

عرف بكثرة التأليف وهو يواكب مختلف

متغيرات الراهن العالمي حتى وُصف

بأنه أخطر الفلاسفة المعاصرين في

الغرب، فكتب عن أحداث الحادي عشر

من ايلول (سبتمبر) ٢٠٠١ والاحتلال

الأمريكي للعراق ٢٠٠٣ والانهيار المالي

عام ٢٠٠٨ وآخر ما كتبه كان مطلع هذا

العام وعنوانه "الجائحة: كوفيد-١٩ يهز

العالم".

سلافوي جيچيك.. ماركس وكورونا وما بينهما

علي حسين

سلافوي جيچيك الذي دخل عامه 71 قبل اشهر قليلة، مشغول البال هذه الايام بكارثة كورونا، ومنذ انتشار الفايروس ونجم الفلسفة في الإعلام الغربي، يناقش الازمة التي يمر بها العالم المعاصر، وقد صدر قبل ايام آخر كتبه بعنوان "الجائحة.. كوفيد 19 يهز العالم" - ترجمه الى العربية محمد الضبع - في الكتاب الذي لم يصلنا بعد، لكننا قرأنا بعضاً من مقالاته التي نشرتها الصحف، يؤكد جيچيك ان وباء كورونا الذي وجه ضربة قاضية الى الرأسمالية، سيعيد اختراع شيوعية جديدة، فالوباء حسب جيچيك سيعجل بزوال الرأسمالية الحالية مثلما سيهني فكرة الدولة القومية.

وكان جيچيك قد حذر قبل ثلاث سنوات من كارثة ستصيب العالم، ففي كتاب اصدره عام 2017 بعنوان "شجاعة اليأس" يكتب: "ان الشيء الحاصل الآن، والأكيد، والذي يمكن التنبؤ به من قراءة متأنية لتطورات الأحداث هو أننا نقرب فعلاً من كارثة جديدة، قد تكون حرباً جديدة أو أزمة أخرى، لكنها ستكون هذه المرة أكثر تعقيداً. سنجد أنفسنا في مواجهة أزمة شاملة، ما يترأى في الأفق هو أزمة شديدة، سنترط فيها، ستكون أكثر شراسة، لكن لا أحد مستعد لتقبل التعامل مع الوضع.. العالم يسير ويفكر -تقريباً- بطريقة فوكايامية. هذه الطريقة لن تحمل حلاً، هي أشبه بالمهدئات"

وفي كتاب "شجاعة اليأس يصبر على ان الفكرة الماركسية من ان غاية الفلسفة هي تغيير العالم وليس تفسيره، هي ما نحتاج اليه اليوم، ووفقا لجيچيك، فان الدرس المستخلص من الاحداث التي مرت علينا خلال القرن الماضي " هو أنه يجب علينا جميع قوانا لتحمل اليأس"، لكن رغم هذا اليأس فان الشجاعة الحقيقية هي الاعتراف بأن الضوء في نهاية النفق يأتي من مصباح من قطار آخر يقرب، وعلينا ان ندرنك ان التغيير الأساسي يمكن أن يكمن في زاوية أخرى من تفكيرنا.. ويتساءل صاحب "سنة الاحلام الخطيرة": "هل بقي وقت، أو لاحت فرصة لتغيير جذري قبل أن يصدمننا القطار؟"

دائماً ما يثار سؤال مهم: هل سننتهي الرأسمالية في يوم من الايام، وتتحول البشرية الى نظرية اقتصادية وسياسية جديدة؟ ولعل السؤال الاهم: اين تقف الرأسمالية اليوم؟ اتذكر انني عام 1990 اطلعت على كتاب للدكتور فؤاد مرسي وهو واحد من ابرز الماركسيين العرب، ساهم بتأسيس الحزب الشيوعي المصري في الخمسينيات ودرس الاقتصاد في جامعة السوربون، الكتاب كان بعنوان "الرأسمالية تجدد نفسها" وعندما شاهدت الكتاب قبل ان اقرأه، سألت نفسي هل يعقل ان مفكراً ماركسياً قرأت له من قبل كتاب "الاشتراكية" اكد فيه ان الاشتراكية اصبحت حتمية هذا العصر بالمعنى الحتمي للفلسفة، ان يخرج علينا ليقول ان الرأسمالية استطاعت ان تجدد نفسها؟، يؤكد فؤاد مرسي في كتابه ان الرأسمالية استطاعت ان تجدد قواها بفضل الثورة العلمية والتكنولوجية التي مكنتها من ان تتكيف مع الازمة الجديدة في العالم، وان التطور التكنولوجي استطاع ان يصحح مسار الرأسمالية اليوم، لتتغير من حيث اشكالها واساليب حركتها.

في العام 2013 ظهر على واجهة المكتبات في فرنسا كتاب بعنوان "رأس المال في القرن الحادي والعشرين" كتبه اقتصادي فرنسي اسمه "توماس بيكيتي" سرعان ما اصبح الكتاب الأكثر مبيعاً، فالموضوع الذي طرحه توماس بيكيتي هو "المساواة بين البشر"، حيث يقدم لنا في كتابه احصاءات تدل على انه طوال مدة تزيد على اكثر من 200 عاماً اصبحت المجتمعات تتباعد أكثر فأكثر عن تحقيق المساواة، والسبب يرجعه بيكيتي إلى: أن العائد على رأس المال بكل مصادره وأنواعه -يميل تاريخياً إلى الزيادة بنسبة تفوق معدل النمو الاقتصادي في شكل عام-. وهذا يؤدي حسب بيكيتي إلى حصر الثروات بيد فئة قليلة حيث تصبح هذه الثروات أعلى من معدل نمو الدخل القومي، والدخل الذي تحصل عليه الفئات الأخرى. وان هذا الفارق الهائل سيؤدي

بالنتيجة إلى توسيع هوة اللامساواة بين المداخل والثروة فينزلق العالم إلى بؤس وعنف وحروب. قبل بيكيتي باكثر من سبعين عاماً قبله، كان الأميركي فريدريك جيمسون أهم ناقد الرأسمالية المعاصرة قد اعترف أيضاً بالإمكانية البوتوية للكوارث الكبرى، حين تجد البشرية نفسها في مواجهة حقيقة أن الجميع يبحر في وجه العاصفة في ذات المركب المنقوب.. وكتب جيمسون: "أبتسم دائماً عندما أسمع الناس يقولون إن الرأسمالية انتصرت في حين أن الماركسية ماتت، أبتسم لأن الماركسية تحليل للرأسمالية".

وفي العام نفسه 2010 اصدر سلافوي جيچيك كتاباً بعنوان "العيش في الازمة الاخيرة" سرعان ما احتل قائمة الكتب الأكثر مبيعاً، وفيه يناقش فكرة فرويد عن الغضب او السخط من الثقافة: "لقد مر عقداً من الزمن على سقوط جدار برلين ولم تات الرأسمالية بالمدينة الفاضلة التي أمل الناس بها" ولم تسلم الاشتراكية أيضاً من جيچيك فهو يراها فاشلة ويصفها مثل الرجل الذي يحلم بالفرار مع عشيقته ويصدم عندما يحصل على فرصته بانها لم تجعله انساناً سعيداً. ويقول هناك فوضى قائمة في الكون، لكننا لا نريد الاعتراف بانها ستحدث.

ربما تبدو حياة سلافوي جيچيك، وكأنها قصة "شيوعي بطريقته الخاصة" عاشق ماركس ومحِب لكتابات جاك دريدا الفيلسوف الذي ظل يؤمن ان المجتمعات الديمقراطية الغربية الحالية عاجزة عن التامل الذاتي، ويؤمن بنظرية فرويد في التحليل النفسي، ولد في الحادي والعشرين من آذار عام 1949 في ليوبلينا التي كانت ضمن الدولة اليوغسلافية لعائلة من الطبقة المتوسطة، الاب موظف، والام تعمل محاسبة.. في راهقته سيبحث في مكتبة والده على كتب في الفلسفة والاقتصاد، اكثر ما لفت انتباهه احتفاظ والده في مكان خفي بالمكتبة بمؤلفات سيمون د فريد، وقد حذرته والدته من الاقتراب منها.. وكانت اول محاولة تمرد على العائلة حين قرر ذات مساء ان يخطف احد كتب فرويد ليقراه في ليلة كاملة، في المدرسة الثانوية تستهويه كتب البنيوية، وسيهديه احد الاصدقاء كتاباً لهيدغر الذي كان من المنوعات في يوغسلافيا آنذاك، في الجامعة يتعرف على كتابات جاك دريدا والتي ستهشه فيها قدرة هذا الفيلسوف على ان لا يكون قابلاً للتلخيص، وان لا يحد نفسه

في تعريف واحد، وفكرة واحدة. عام 1967 ينشر أول ترجمة لنص جاك دريدا إلى السلوفينية، يكتب ان دريدا علمه ان المفكر عليه إلا يكون قابلاً للتلخيص، ولهذا نجد سلافوي جيچيك ينظر الى الفلسفة على انها سؤال لا ينتهي بتعريف واحد، وفكرة واحدة.

عام 1971 يتخرج من الجامعة، وكان قد درس الفلسفة وعلم الاجتماع، بعدها قرر ان يقدم رسالة ماجستير عن الفلسفة الفرنسية المعاصرة من خلال اعمال دريدا وفوكو، لكن الرسالة سببت له المتاعب لانها تتناول فلاسفة "مشتهر بهم أيديولوجي".

يعمل مترجماً، ويصبح جزءاً من مجموعة تؤسس جمعية باسم "نظرية التحليل النفسي"، يحصل عام 1981 على شهادة الدكتوراه في الفلسفة، وبعد وفاة الرئيس اليوغسلافي جوزيف تيتو ينشط سياسياً، ويصبح احد الداعمين لاستقلال سلوفينيا من يوغسلافيا، عام 1990 يرشح نفسه لمنصب رئيس سلوفينيا لكنه يخسر المنصب.

ينشر اول كتبه بالانكليزية عام 1989 بعنوان "الهدف السامي لايدولوجيا" وفيه يحاول ان يقدم مراجعة للتعريف الكلاسيكي لايدولوجيا حيث يطرح فكرة مفادها "إنهم يجهلون عواقب أعمالهم ومع ذلك فهم يمارسونها". فالنشر ينساقون بسذاجة مع مسار الرأسمالية، حيث الاساس

أن تكون مستهلكاً، متسوقاً، تأكل وتمارس الجنس، وإن لم تفعل هذه الأشياء، فأنت شخص غير مخطوط.

بعدها تتوالى كتبه التي بلغت ما يقارب الثلاثين كتاباً أبرزها "هيجل وظل المادية الديالكتيكية" "سنة الاحلام الخطيرة" "العنف.. تامسات في وجه السنة" وكتاب "كيف نقرا جان لكان" "مرحبا في صحراء الواقع" "لبنين في عام 2017" "بداية كأماسة وأخرى كمهزلة" في كل كتبه هناك مناقشات لهيجل وماركس وكانط يضاف اليهم سيمون د فريد، حيث يرى جيچيك ان التحليل النفسي يمكن ان يشهد ادواته الماركسية النظرية، فالماركسية تهدف الى تحسين المجتمع والتحليل النفسي يهدف الى تحسين احوال مرضاه، وهكذا يجد ان اهداف التحليل النفسي تلقت اهداف الماركسية لأن كليهما يهتم بالحيز الاجتماعي باعتباره باعتباره الحيز الأكثر فاعلية للتحليل.. يضاف الى هؤلاء الاربعة سنجد كافكا حاضراً مثله مثل افلام هنتشوك، مع سجلات لكان، واحالات إلى فاغنر وموتزارت، وحضور ساحر للاخوة كيركغارد وسبينوزا.

في بداية انتشار فايروس كورونا كتب سلافوي جيچيك مجموعة من المقالات، توقع فيها ان الوباء سيغير شكل العلاقة مع الفضاء العام مثل الوجود في الحدائق والجلوس على المقاعد العامة، وتجنب

احتضان الناس أو مصافحة أيديهم، وأنها قد نصبح أكثر حذراً بشأن الإيماءات العفوية مثل لمس الأنف أو فرك العينين.

ويعتقد أنه ربما سيتم اعتبار أن الواقع الافتراضي هو فقط المكان الآمن في هذا العالم على الرغم من أنه فضاء مليء أيضاً بالفيروسات، وربما يقل التنقل بحرية وبلا خوف، وقد لا يتحقق إلا للأغنياء في مساحة مفتوحة على الجزر التي يملكونها

يرى جيچيك أنه وكما هو الانتشار المستمر لوباء كورونا المستجد، فإن أوبئة واسعة من الفيروسات الأيديولوجية التي كانت راکدة في مجتمعاتنا بدأت في الانتشار؛ وعلى رأسها تناقل الأخبار المزيفة، ونظريات المؤامرة، وانفجارات العنصرية، ومظاهر الطبقة بأشبع أشكالها.

ويقول لعل الجائحة تفيد في نشر فيروس أيديولوجي آخر أكثر فائدة وهو فيروس التفكير في مجتمع بديل خارج الدولة القومية، مجتمع يحقق نفسه بأشكال التضامن والتعاون العالميين.

يعود جيچيك في كتابه إلى الموضوعات التي تناولها في عدة مناسبات؛ مثل ما هي الطرق التي تستجيب بها الحكومات للأزمة؟ وكيف سيواجه الإنسان مسائل مثل العزلة والحجر؟.

وعبر جيچيك عن اعتقاده بأن أزمة كورونا ستعطي معنى جديداً للمجتمع، وسيبتدئ منها فكر شيوعي جديد بعيد كل البعد عن تلك الشيوعية التاريخية، ويعتقد أن الحاجة للتعاون والتضامن العالمي للتغلب على الأزمة الصحية بمثابة اكتشاف ثوري: "نحن نعيد اكتشاف حاجتنا لبعضنا بعضاً، أشخاصاً وشعوباً"، ويؤكد جيچيك أن فكرته عن الشيوعية ليست مجرد حلم، معتبراً أن انتشار الوباء سيعطي قوة دفع لتضامن جديد: "سيكون اختبارنا هو في بناء طريقة جديدة للحياة، لكن على الأشخاص أن يستعدوا فالأمور بأيدينا الآن، لا ينبغي ان نتنظر حتى انتهاء الأزمة".

يكتب جيچيك إنه على الرغم من أن المواطنين الآن أكثر عزلة، فإنهم باتوا أكثر اعتماداً على بعضهم بعضاً، كما يعيشون ضرورة متناقضة تتمثل في إظهار التضامن من خلال عدم الاقتراب من بعضهم بعضاً، ولم يخف جيچيك تفأؤله بأن يحدث هذا السلوك تغييراً عميقاً ويستمر حتى بعد انقضاء الأزمة.

وبخصوص ما يمكن تعلمه من هذه التجربة، يرى الفيلسوف الذي يوصف بأنه "إلغيس برسلي الفلسفة" بمظهره البسيط وتشيرته الملون وطريقة كلامه وقصة شعره التي تقربه من اليبانيين، أن التكلفة النفسية ستكون باهظة الثمن، كما تخلق العزلة أيضاً أشكالا جديدة من جنون الارتياب تتجلى في العديد من نظريات المؤامرة على شبكات التواصل التي لا تتوقف عن تكرار أن دولاً مثل الولايات المتحدة والصين هي أصل الفيروس، لذلك ينبغي أن نكون أكثر حذراً.

رغم ان كتابات جيچيك تهتم بالفلسفة والسياسة، إلا انها دائماً ما تولي قضية البيئة اهتماماً خاصاً حيث يعتبر قضية البيئة، واحدة من أهم قضايا النضال السياسي: "نحتاج لأسلوب تفكير جديد تماماً، بدلاً من أفكارنا الحالية حول الطبيعة". وهو يرى أن الأيديولوجيات الرومانسية والشعبوية لا تزال تحكم الكثير من الأفكار حول الطبيعة، حيث ينظر الى الطبيعة في الأيديولوجيات باعتبارها منسجمة وخيرية، وتظهر الأرض باعتبارها "الطبيعة الأم" التي ترعانا وتغذيها وتعاملنا بلطف. أما الحقيقة التي لا تريد ان تعترف بها هذه الأيديولوجيات، هي أن التوازن الطبيعي "لوجود الحيوي للأرض قد تضرر بشدة، بالقمامة السامة وارتفاع الحرارة في العالم: "بسوء استخدامنا للمصادر الطبيعية فإننا نستدين من المستقبل ولذلك علينا أن نتعامل مع كرتنا الأرضية باحترام".

سلافوي جيچيك الذي ظهر في آخر حوار معه ليؤكد بأن لديه كل أعراض كورونا لكن نتائج تحليله سلبية، قال انه يفقد متعة الذهاب الى محال بيع الكتب: "في المكتبة تذهب للبحث عن شيء ما وكثيراً ما تعود بشيء، فلا يمكن استبدال شيء بالمكتبات، ومن الخطير جداً أن تدفعها الأزمة إلى أن تجثو على ركبتها"



سلافوي جيچك.. النقد الثقافي وأسئلة الفلسفة



بين لاكان والتوسير وتيري أيجلتون تتشكل شخصية سلافوي جيچك، بوصفها إيموجا للنقاد المتمرد على أشباح ماركس، أو بوصفها قناعاً للمثقف الإجمالي، الذي حاول أن يشتبك مع أسئلة الوعي السياسي، واستغراق البحث النفسي، ومعرفية المجال الفلسفي.

هذه التوصيفات تضع جيچك في سياق صورة المثقف المتعالي، الذي يجعل من ممارسة «النقد الثقافي» فاعلية كشف وتعريف للأنساق المضمرّة في صراعات السياسة الدولية، وفي الأيديولوجيا «المقدسة»، ومن منطلق علاقته ك«شيوعي متقاعد» بالأيديولوجيا والخطاب والمؤسسة والمجتمع والاستعراض وثورة المعلومات، فضلاً عن طبيعة علاقته الإشكالية بالفكر الجدلي، بدلالته كجمال لإثارة الأسئلة، ولفحص المفاهيم، وتوسيع مديات اشتغال الفلسفة والتحليل النفسي في قراءة محنة الإنسان المعاصر، الإنسان الخارج من مركزيات الأدلجة، وخذع الرسملة، ورتانة أنظمتها، لاسيما بعد جائحة كورونا، التي تحولت إلى نوع فائق لإمبريالية المجهول..

علي حسن الفواز

وظيفة التحليل هي أكثر الوظائف تمثيلاً لفاعلية جيچك النقدية، والتحليل خارج هذا الفعل الوظيفي سيكون شكلاً من «التنظير» الذي لا يُعني التجربة، ولا يجلب المتعة، فضلاً عن أن التحليل سيكسبه قوة الدافع في صياغة السؤال النقدي، بوصفه سؤالاً في نقد التاريخ والنظام والهيمنة، التي هي السمات التكوينية الأبرز للأسمايلية، ليس بوصفها الإقتصادي العمومي، بل بطبيعة مرجعياتها السياسية والتجارية والأيديولوجية، التي تُعنى بصناعة مظاهر تلك الهيمنة، وكذلك بطبيعتها الأخلاقية التي تخص المجال البراغماتي لمفاهيم وقيم العدالة والحرية والحب والسلطة..

اشتباك جيچك مع الفلسفة اشتباك حذرٌ وغامض، فيقدر علاقته بجوهر الفلسفة ووظيفتها النقدية، فإنه أكثر تمرداً على توصيف الماركسي النمطي، وعلى أوهام الفيلسوف المتعالي، إذ يجد في المغامرة وعبا بالتجديد، وبضرورة انفتاحه على التنوع المعرفي بوصفه مجالاً مفتوحاً لصياغة أسئلة جديدة، تخص ما هو أنثروبولوجي، مثلما تخص وظيفة الناقد الثقافي من جانب، ووظيفة البطل الثقافي الذي يواجه تحديات السياسة والأيديولوجيا والقهر الطبقي والخذلان الوجودي من جانب آخر.

سمة البطولة قد تبدو بسيطة وسانحة إزاء سمة الناقد، فمنصة النقد التي يملكها ليست سهلة، وسط مهمات معقدة وطاردة، لكنها تبقى تحوز فعالية تدفع باتجاه التعريف بمسؤولية الناقد/ المحلل، بوصفه الناقد الذي يملك قوة نقد ومراجعة الأفكار الكبرى، بما فيها الماركسية والرأسمالية، فضلاً عن نقد الأنظمة السياسية، التي استعانت مرجعياتها بالأيديولوجيا، لتبرير وجودها، ولتشكيل عصاب القوة والهيمنة في تلك الأنظمة، ومنها ما يتعلق ب«الأوهام الكبرى»، التي تخص مفاهيم المجتمع الطبقي، والعدالة الاجتماعية، والنضال السياسي، إذ كثيراً ما فرضت تلك الأوهام تأثيرها الرمزي على التوصيف العمومي للنظام، والحرب والأيديولوجيا، وليست الاشتراكية بمعناها السياسي، والرأسمالية بمعناها الطبقي، والتاريخ بعيدة عن ذلك، فالخطاب النقدي الذي انحاز جيچك إلى تمثيله، بدأ أكثر قرباً من الدلالة الثقافية في نقدها الثقافي للأنساق المضمرّة تحت رعب الأيديولوجيا، أو تحت ضغط الحاجة، فالأيديولوجيا والحاجة تحولتا إلى مجالين للإشباع الرمزي والمادي، مثلما كانتا مجالاً للصراع والتقاطع، عبر صناعة المثقف المثقف التابع الأيديولوجي، أو عبر صناعة المثقف المغترب بوصفه المتعالي والمغرور والإكراهي، وهذا ما بدأ واضحا في مرحلة ما بعد الحرب الباردة، وانهايار الاتحاد السوفييتي، وصعود القطبية الأمريكية بنظرية إنسانها الأخير، وبتوحش جروبها وعسكرتها ونزقها.

العالم صار عنيفاً، لأنّ صناع هذا العنف يريدون السيطرة على العالم، وعلى التلويح بفرصيات يلتقي عندها التاجر والتائر والرئيس والفيلسوف والمهرج، إذ تُكرس هذه الفرصيات ما يشبه مجتمع الاستعراض النقدي بوصفه اغتراباً جيچك الماركسي هو أكثر وعياً بمفهوم الاغتراب، وبدلالته في الفكر والخطاب، وفي علاقة المثقف بالسلطة الثقافية، وبالوظيفة السياسية التي يمكن أن يمارسها الفيلسوف أو الناقد، إذ تتحول بين يديه المفاهيم إلى ما يشبه الأسلحة، تلك التي يتوهم اشتباكه النقدي



معها، أنه سيصوبها نحو الوعي الزائف والقوة الزائفة والعلمانية الزائفة، فالفيلسوف في هذا التصويب لم يعد سفسطانياً، أي بائعاً للمعرفة، بقدر ما يبدو أكثر تعبيراً عن وعي الأزمة، ووعي الخسارة، ووعي اغترابه عن الحقيقة، إذ يمكنه أن يشبه الحارس الميتافيزيقي، أو قد يكون مؤدياً لدور المهرج في مسرح شكسبير، حتى يبدو التهريج الثقافي فاضحاً، وشبهياً بالتهريج الأيديولوجي والتهريج السياسي، وعبر المغالاة في تعرية ما يجري، وفي كشف عيوب الأيديولوجيا والأنظمة، والممارسة الثقافية، بما فيها العنف الذي يخضع السياسة والسلطة والطبقة والدين.

العودة إلى تفسير العالم قد تكون خياراً مفارقاً لجيچك، إذ إنّ فشل الفلاسفة في تغيير العالم، أثار سؤالاً وجودياً عن الجدوى، وعن مقارنة الفيلسوف بالسياسي أو

السيطرة على العالم، وعلى التلويح بفرصيات يلتقي عندها التاجر والتائر والرئيس والفيلسوف والمهرج، إذ تُكرس هذه الفرصيات ما يشبه مجتمع الاستعراض، حيث يقوم الكل بعرض بضاعته، بما فيها بضاعة الخطاب والجسد والزي، ولعل ما يجري اليوم من أعمال عنف وحروب وصراعات تكشف عن أزمة «اللافهم» التي سقط فيها الجميع، فحوادث باريس ونيوزيلندا الإرهابية، ليست بعيدة عن الحروب العدمية في سوريا واليمن وليبيا وفي غزة، إذ هي حروب سيطرة، وعنّف إكراهي، تتبدى فيها عصابات السلطة، والعنف الأهلي الطائفي، مثلما تتبدى فيها استعراضية الآخر/ تاجر الأسلحة، وصانع الاستعراض، الذي يربط عنف الصراع بتضخيم الثروة، وعنّف اللغة، فالخطاب السياسي الذي نقرأه ونسمعه من الرؤساء والمؤسسات والجنرالات يقوم على فعل الكراهية، وعلى غاية التسويق، واللغة بطبيعتها ليست بريئة، لأنها مؤدلجة في السياق وفي الوظيفة.. عنّف اللغة، أي عنّف الخطاب فيها، جعله جيچك نسفاً مضمرًا للممثل الرمزي للقوة، ولرمزية سيطرتها على الآخر، ولتسويق مواقف الكراهية إزاءه، لاسيما المواقف التي رافقت العقوبات الدولية التي تفرضها الولايات المتحدة على أنظمة معينة، أو المواقف الصحية التي برزت بعد اجتياح جائحة كورونا العالم، التي تحولت إلى مواقف سياسية وتجارية وأمنية، بعضها يخص النوايا، وبعضها يخص المعلومات، وأحسب أن المؤتمرات الصحافية التي عقدها الرئيس ترامب، كانت تمثيلاً بارزاً واستعراضياً للتعبير عن الأزمة، وعن كراهية الآخر، وعن تأثير ذلك على تداولية مفاهيم القوة والديمقراطية والثروة والسوق والنقطة والدواء والإنسان بوصفه الأنثروبولوجي..

الموقف من العالم نزوع جيچك لمواجهته العالم المتغير، قد جعله الأقرب للساحر، أو ربما لأطروحات التوسير، وهو يتخيل أشباح ماركس التي ستتهبط على أوروبا الرأسمالية، حيث يتحول الهبوط إلى نوع من السحر، أو إلى تطهير، وإلى ما يشبه «الحرب» الكوميدانية بين قوى كبرى لها أسلحة غير مرئية، وقد تكون بايولوجية على طريقة «الجنرال كوفيد 19»، فالعالم الذي اجتاعه الفيروس فقد خسر كثيراً من أنماطه وعاداته ومركزياته، وبدأت لعبة الأشباح تبرز من جديد، بوصفها حرباً لتخليص الرأسمالية من الأغنياء الأثرياء، ومن الشعبويين والقادة الطبقيين، الذين جاهدوا بالنقاء الطبقي، والوهم الأيديولوجي، حدّاً أن يتحول «الرمز كوفيد» إلى طاقة ميتافيزيقية لتغيير زاوية النظر للعالم، وإلى خيار يقوم على تقويض المفاهيم التي اتكأت عليها الفلسفة المثالية الغربية، وأطروحات الحدائنة بنسختها الهابرمازية، حيث أسهمت جائحة الكوفيد في تفكيك التواصل، مقابل إشاعة التباعد، وهو تضاد مفهومي، يذهب باتجاه البحث عن الوسائط، التي من شأنها تلوين العالم بألوان لم تعد صافية، ولها دلالتها في التعبير عن المحنة الرمزية لكائن ما بعد الحدائنة، أقصد أزمة الفرد في حريته ووجوده وأسواقه، ومع تفكك مركزياته القديمة التي تحولت إلى مركزيات مرعبة، غير قادرة على حيازة الحب، مقابل التورط بالكراهية، وغير قادرة على إعادة صياغة مفهومية للثورة، مقابل إخضاع الإنسان إلى مزيد من الهشاشة والرتانة، وأخرها هشاشة النظام الإمبريالي المتعالي أمام كورونا بشيفرته الجينية، أو بعلامته كقوة غامضة أسقطت الأسواق الكبرى والسرديات الكبرى للإمبريالية.

عنف اللغة والأيديولوجيا

العالم صار عنيفاً، لأنّ صنّاع هذا العنف يريدون

سلافوي جيبيك: ما العلاقة بين الأصولية الدينية والديمقراطية الليبرالية؟



manarat

WWW. almadasupplements.com

رئيس مجلس الإدارة
رئيس التحرير

عزى ربيع

عبد الوكيل

رئيس التحرير التنفيذي
علي حسين

سكرتير التحرير
رفعة عبد الرزاق

الإخراج الفني
علي كاطع

منارات

طبعت بمطابع مؤسسة منارات للإعلام
والثقافة والفنون



دد

أكد المفكر والناقد السلوفيني سلافوي جيبيك في مقال له بـ نيوستيبمان نحتاج إليه بصورة أدعى من شيطنة الإرهابيين بخرافاتهم الانتحارية البطولية هو أن نفصح هذه الأسطورة الشيطانية، ملقياً بهذا الدور على الليبرالية واليسار. وهنا نص المقال الآن، ونحن نعيش جميعاً حالة الصدمة التالية لحفلة القتل في مقر شارلي إبدو، نعيش أيضاً اللحظة التي ينبغي أن نستجمع فيها الشجاعة اللازمة لـ التفكير. علينا، بطبيعة الحال، أن ندين بسفور أعمال القتل بوصفها هجوماً على جوهر حرياتنا الأصلية، وندينها دون إضرار أعداء (من قبيل أن "شارلي إبدو كانت أيضاً تستغف المسلمون وتسيء إليهم بأبغ الإساءة"). ولكن مشاعر التضامن المطلق هذه غير كافية - علينا أن نفكر في ما بعد ذلك.

ترجمة: أحمد شافعي

ولا علاقة للتفكير الذي أعنيه من قريب أو بعيد بالنظرة النسبية الرخيصة للجريمة (من قبيل التسيحية الشهيرة: من نحن في الغرب حتى ندين هذه الأعمال ونحن من نحن من مرتكبي أشنع الجرائم في العالم الثالث؟). وليست له علاقة بالخوف المرضي لدى كثير من اليساريين البروليتاريين في الغرب من الإدانة برهاب الإسلام (الإسلاموفوبيا). فكل انتقاد للإسلام، في نظر هؤلاء اليساريين الزائفين، مدان بكونه تعبيراً عن رهاب الإسلام لدى الغرب، فسلمان رشدي مدان لاستفزازة المسلمين بلا داع، ومن ثم بالمسؤولية (ولو الجزئية على الأقل) عن فتوى إهدار دمه إلى آخر ذلك. فنتيجة ذلك الموقف لا تخرج عما يتوقعه المرء في هذه الحالات: وهو أنه كلما أمعن اليساريون في الغرب في الاعتراف بذنبهم، ازداد اتهام الأصوليين الإسلاميين لهم بالنفاق وإضمار الكراهية للإسلام. هذا المزيج يفرز بصورة مثالية مفارقة الأنا الأعلى: كلما أظمت ما يمليه عليك الآخرون، ازدت إحساساً بالذنب. وكأنك كلما تسامحت مع المتشدددين الإسلاميين، ازدادوا ضغطاً عليك. لذلك لا تبدو لي كافية دعوى الاعتدال المستشرية وسط سطور مقالة سيمون جينكنز (في الجارديان في السابع من يناير) التي قال فيها إن مهمتنا الآن هي "الألف في الفعل، والألف في الترويج لتوايح [الحدث]". بل إن تعامل كل حدث بوصفه حادثة إرهابية عابرة، لو أن الهجوم على شارلي إبدو لم يكن مجرد "حادثة إرهابية عابرة"، فقد أتبع أجنحة دينية وسياسية محددة ومن ثم فقد كان جزءاً من نمط أكبر بكثير. ولا ينبغي لنا بالطبع أن نفرط في رد الفعل، لو أن الإفراط هنا معناه الاستسلام لرهاب الراديكالية العمياء، بل علينا أن نجعل التحليل بلا شفقة في هذا النمط.

فما نحتاج إليه بصورة أدعى من شيطنة الإرهابيين بخرافاتهم الانتحارية البطولية هو أن نفصح هذه الأسطورة الشيطانية. ولقد أدرك فريدريش نيتشه قديماً كيف أن الحضارة الغربية تضحي باتجاه "الإنسان الأخير"، ذلك المخلوق الفاتر عديم الشعور والالتزام، ذلك الذي في عجزه عن الحلم، وضجره من الحياة، لا يخاطر، ولا يبتعد عن الدعة والأمان والتعبير عن التسامح بينه وبين الآخرين: "قليل من السم بين الصين والآخر: ذلك يكفي الأحلام اللذيذة، ثم كثير من السم في النهاية:

ذلك يكفي الموت اللذيذ. ينالون لذاتهم الضئيلة بالنهار، ولذاتهم الضئيلة بالليل، ويحرصون على صحتهم. ويقول الإنسان الأخير لقد اكتشفنا السعادة فتطرف أجدانهم. قد يبدو فعلياً أن الهوة القائمة بين العالم الأول المتساهل ورد الفعل الأصولي عليه يتوازى أكثر فأكثر مع التعارض بين عيش حياة طويلة مشبعة مليئة بالثروة المادية والثقافية وبين تكريس المرء حياته لقضية سامية. ليس هذا العداء كالأذي بين ما أسماه نيتشه بالعدمية "السلبية" و"الإيجابية"؟ فنحن في الغرب بشر نيتشه الأواخر المنغمسين في المذات اليومية البلهاء، بينما الراديكاليون الإسلاميون هم المستعدون للمخاطرة بكل شيء، المنخرطون في النضال إلى حد تدمير أنفسهم. وتبدو قصيدة "المجيء الثاني" لوليم بترل ينس مثالية في توصيف مأزقنا الراهن إن نرى أن "أفضل الناس" تنقصهم العقيدة، بينما الأسوأ يمتلكون بالقوة العاطفية. هذا وصف ممتاز للهوة الرهانة بين البرلين المصايين بفقر الدم والأصوليين ذوي العاطفة التنبؤية. لم يعد "الأفضل" قادرين على الاشتباك التام، بينما "الأسوأ" منخرطون في تعصب عنصري ديني جنسي. ولكن، هل يلائم الوصف حقا الأصوليين الإرهابيين؟ إن ما ينقص هؤلاء بوضوح يتحمل في سمة يسهل العثور عليها في جميع الأصوليين الأصلاء من البوذيين في التفتت إلى الأميشيين في الولايات المتحدة: ينقصهم غياب الإمتعاض والحسد، تنقصهم اللامبالاة العميقة بطريقة حياة غير المؤمنين. فلو أن من يوصفون بالأصوليين اليوم يؤمنون حقا أنهم عثروا على طريق الحقيقة، فأي تهديد يمثله لهم غير المؤمنين، ولماذا يحسدونهم؟ إن البوذي إذ يرى المعوي الغربي فإنه لا يدينه في كثير أو قليل. إنما يلاحظ في عطف أن بحث المتعوي عن السعادة محكوم عليه بالفشل. وخلافاً للأصوليين الحقيقيين، ترى في مدعى الأصولية الإرهابيين إحساساً عميقاً بالضيق والافتتان بالحياة الأثمة التي يعيشها غير المؤمنين. وإن المرء يستشعر ذلك في مقاتلتهم الآخر الأثم، فهم لا يقاوتون فيه إلا غايتهم.

وهنا يعجز تشخيص بيتس عن وصف المأزق الراهن: فالقوة العاطفية لدى الإرهابيين شاهد على غياب القناعة الحقيقية. فكم يكون هشاً إيمان المسلم لو أنه يستشعر خطراً في كاريكاتير أبه في جريدة أسبوعية ساخرة؟ إن الإرهاب الإسلامي الأصولي لا يقف على أرضية قناعة الإرهابيين بأفضليتهم وعبثهم في تأمين هويتهم الدينية الثقافية من هجمة الحضارة الاستهلاكية العالمية. ومشكلة الإرهابيين لا تكمن في أننا نعتبرهم أنى منا، بل بالأحرى في أنهم في قرارة أنفسهم يعتبرون أنفسهم الأدنى. ولذلك فإن تأكيداتنا بأننا لا نشعر بأفضليتنا عليهم. وهي تأكيدات منطوية على تنازل من جانبنا، وصحيحة من الناحية السياسية. لا تزيدهم إلا غضباً، وتزكي نار استيائهم. وليست المشكلة اختلافاً ثقافياً (كالحفاظ على

عن موقع الإلكتروني للمترجم احمد شافعي

جيجك.. معضلة الايديولوجيا

دد

موضوع الايديولوجيا من المواضيع التي تهم المثقف العراقي والعربي عموماً، والمصطلح نفسه في تداول مستمر. كما ان الكثير من مثقفينا العراقيين والعرب اطلع على هذا الموضوع بدءاً من خلال الارث الماركسي. لكن ثمة محطات مهمة تطورت فيها مقارنة الايديولوجيا، مروراً بانطونيو غرامشي، ولويس التوسير، وبيتر سلوتردك، ولعل اخر مقارباتها المهمة الجذرية هي مع سلافوي جيجك.

نصير فليح

المختلفة. وموضوع الايديولوجيا موضوع رئيسي في فكر جيجك، بل ان الكتاب الاول الرئيسي الذي دخل به جيجك العالم الانكلوفوني عام 1989 كان كتاب موضوع الايديولوجيا الجليل، والذي لا يزال يعتبر من اهم كتبه واوضحها اسلوباً.

السمات الاساسية التي تتميز بها مقارنة جيجك لموضوع الايديولوجيا هي ان الايديولوجيا موجودة ومؤثرة عكس ما تريد القوى النافذة عالمياً اقتصادياً وسياسياً تصويره من ان الايديولوجيا موضوع انتهى واننا نعيش في عصر ما بعد ايديولوجي. وهو يقر بعمق تغلغل الايديولوجيا الراسمالية الى الدرجة التي يقول فيها ان الناس اليوم يمكنهم تصور نهاية العالم والبشرية اسهل مما يمكنهم تصور نمط حياة اقتصادية-اجتماعية بديلة. كما ان جيجك يقارن موضوع الايديولوجيا وطبيعة فعله في الافراد من زاوية سيكولوجية اساساً مستخدماً مفاهيم جاك لكان الرئيسية، عن "الوعي" و"الرمزي" و"الخيالي". وفي مقارنة جيجك هذه تفاصيل وزوايا كثيرة ومعقدة ايضاً.

لكن بصورة موجزة نستطيع ان نقول ان جيجك يعود الى نظرية باسكال حول الايمان وطريقة حدوثه وفعله في النفس، وكيف ان الشعائر والممارسات الدينية، حسب باسكال، هي التي تخلق الايمان لاحقاً، رغم ان العكس قد يبدو للوهلة الاولى. فالممارسة الشعائرية نفسها تعكس ايماناً "بشكل جنيني" يتحول الى ايمان لاحق. جيجك يستخدم هذا المفهوم ليقارن به موضوع الايديولوجيا، فهو يرى ان نطاق الايديولوجيا الاساسي هو ليس الوعي والفكر، بل الفعل والممارسة. واندراج الناس في ممارساتهم الفعلية ضمن المجتمع هو ما يولد هذا "الايمان الجنيني" بالايديولوجيا التي يعيشون في نطاقها.

كما ان الذات ما بعد الحداثية، حسب جيجك (وهو هنا يتفق مع بيتر سلوتردك) هي نوع من ذات "سينيكية" cynical، والذات السينيكية هي الذات التي تنتقد حالة معينة وتهكم عليها دون ان ترفض ذلك فعلياً في الممارسة (درجت العادة على ترجمة cynicism الى "كلبية" ولكننا نرى ان "الكلبية" في العربية لا علاقة لها بالمعنى الاصلي ومشتقة من كلمة "كلب" وهي نافرة وفجة في هذا السياق ايضاً، ولهذا فضلنا ابقاء اللفظ الاصلي لها).

نقاط اختلاف جيجك الرئيسية مع من سبقوه تتجسد في طبيعة مقارنته وفهمه للايديولوجيا نفسها. فهو يرى ان مفهوم التوسير عن "الاستجاب" او "المساءلة" غير مقنع او كاف لتفسير فعالية التأثير الايديولوجي وابقاء لنسيج العلاقات الاجتماعية القائمة مستمراً. من جانب آخر، بينما ترى الماركسية التقليدية الايديولوجيا بصيغة "انهم لا يعرفون ولكنهم يفعلون"، اي الانخراط في الممارسة الفعلية في النطاق الايديولوجي الناجم عن عدم المعرفة او الوعي الزائف، ويرى سلوتردك ان الصياغة هي "انهم يعرفون جيداً ما يفعلونه، لكنهم مع ذلك، يفعلونه"، اي ما اشرنا اليه من طبيعة الشخصية السينيكية المعاصرة، فان جيجك يرى الصياغة الاديقي هي "انهم يعرفون انهم في نشاطهم يتبعون وهما، لكنهم مع ذلك، يفعلونه"، ذلك ان الايديولوجيا تتجسد اساساً في الممارسة لا العكس.

للايديولوجيا تعريفات كثيرة، فهي اي نسق شامل من المعتقدات وطرائق التفكير التي تمثل اساساً للفعل، او ترسيمة مفاهيمية مع تطبيقها العملي، او حسب تعريف التوسير: "العلاقة التصورية للأفراد عن الشروط الواقعية لوجودهم". وبينما نجد الفكرة الاولى عن الايديولوجيا في الماركسية اعتبارها "وعياً زائفاً" يتوجب طرحه جانباً، فان المقاربات اللاحقة تناولت الموضوع بطرق أكثر تفصيلاً وابعاداً، ومن زوايا مختلفة ايضاً.

بالنسبة لانطونيو غرامشي، فان مفهومه عن "الهيمنة" hegemony مفهوم متداخل جداً مع الايديولوجيا، وبدلاً عن تعريف الايديولوجيا باعتبارها وعياً زائفاً، فان مفهوم غرامشي عن الهيمنة اقرب الى ما نسميه اليوم القوة الناعمة. وبالتالي فان الحكومات لا تستطيع تحقيق هذه الهيمنة بمفردها بل تتطلب توافقاً او تماشياً معها من قبل الناس الذين تحكهم.

اما بالنسبة للمفكر الفرنسي لويس التوسير (الذي يُدرج عادة ضمن الاتجاه او الفلسفة البنوية) فان الايديولوجيا كانت نطاقاً هاماً من نطاقات عمله ومنجزه الفكري. لويس التوسير يقسم القوى الفاعلة في المجتمع لجهة السلطة والسيطرة الى اجهزة الدولة القمعية واهزة الدولة الايديولوجية. وبينما تتمثل الاولى ببساطة في الشرطة والجيش وما شابه، فان الاجهزة الايديولوجية تتمثل في المؤسسات الاجتماعية من قبيل العائلة والكنيسة والمدرسة، وفي عالمنا المعاصر قوة الاعلام. وهو يرى ان هذه الاجهزة الايديولوجية هي التي تضمن بقاء نسيج العلاقات الاجتماعية القائمة مستمراً.

ولكن كيف تفعل هذه الاجهزة الايديولوجية فعلها؟ هنا نصل الى مصطلح اخر هام في نظرية التوسير وهو "الاستجاب" او "المساءلة". بمعنى ان الفرد يشعر انه موضع مساءلة افتراضية قد تصبح ممكنة فعلياً، مما يجعله يندرج ضمن النسق المطلوب للعلاقات الاجتماعية القائمة، دون حاجة الى استخدام وسائل الدولة القمعية. فهذا الشعور بالاستجاب او المساءلة المحتملة القائمة كامكانية، يؤثر في الفرد شعورياً ولا شعورياً، ويجعله بالتالي ينصير للعلاقات الاجتماعية القائمة التي يندرج فيها وجوده بانها علاقات طبيعية. وفي معجم التوسير فان الفرد هنا يخسر فرديته لكي يصبح "ذاتاً"، والايخيرة هنا تعني تلك الصيغة من الوجود الفردي الناجمة عن شبكة العلاقات الاجتماعية القائمة والخاضعة لها في الوقت نفسه.

سلافوي جيجك له اعتراضات على كل ما تقدم، اضافة الى الاعناعات والتطويرات والمقاربات